سبعة اسئلة حول المستقبل

تأليف : أرنولد توينبى

عرض : الأزرق بن علو

الحلقة الاخيرة ●

من جملة المشاكل التى يعالجها المؤلف فى كتابه « البقاء » الذى نشرنا عنه حلقة فى العدد الماضى . . قضية الدين والتقنية ، فيقول : « ان التقنية تجهز الانسان وتمكنه من القوة المادية غير أن القوة المادية التى لاتوازنها قوة روحية مثل الحكمة والمحبة تصبح نقمة لانعمة » .

ويبدو للكاتب أن الانسان فى حاجة الى قوة اخلاقية تحميه من نفسه ومن بنى جنسه . لذلك سادت تعاليم بوذا وكونفوشيوس ولاوتسو وجميع الانبياء والرسل فاشبعت تعاليمهم الحاجة وملأت الفراغ الاخلاقى فى نفوس البشر .

ويتأسف توينبى لكون الدين بدأ يفقد من قيمة وسلطته . ذلك لان العلم يقدم للناس البراهين الملموسة على نظرياته . أن الانسان يولد فيجد نفسه فى حيرة وفى عالم متشابك الاسرار وتساعد الديانات الانسان فتمده باجوبة كثيرا ماتبعد حيرته وتساعده على تقبل بعض الحوادث الغامضة مثل الموت ، او على الاقل تساعده على مواجهتها

واذا نظرنا الى الانسان اليوم وهو يجهد نفسه للحصول على المزيد من الثروة والقوة ، واذا عرفنا أن نجاح الانسان فى هذا الميدان لم يزل تعاسته وحيرته ، ذهبنا مع المؤلف الى القول بأن التقدم التقنى ، عندما يطلب كغاية فى حدذاته ، فانه يسلب من المرء انسانيته ويبعده عن النجاح الحقيقى .

لذلك نرى الكاتب يستنتج أنه لايمكن للعلم ولا للتقنية أن تستغنى عن الدين بمعناه العام ، اذ لاتقدر أى منهما أن تشبع الرغبات الروحية . فالعلم يقدم أجوبة نهائية لاجدال فيها . ونحن نعرف أن كثيرا من المشاكل العويصة التى تواجه الانسان ليس لها حلول واجوبة مؤكدة ونهائية . للعلم حدود ، والمعرفة نسبية . وهذا لا ينقص من قيمة ماحققه العلم فى ميدان التطور والنمو .

وهل استطاعت التقنية والتقدم أن يحلا مشاكل مثل القلق والخيبة والشعور بالذنب وفقدان الامن ؟ وهل عالجا أنانية الانسان التى تكاد تقضى على وجوده ؟ لقد استطاع العلم أن يشكك فى الدين أحيانا ، ولكنه لم يقدر على ملء الفراغ الذى خلفه هذا الشك .

يبدو أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يعرف أنه سيموت . « وقد عجز الثراء والسلطة أمام الموت » . هذا مايقوله المؤلف وهو يتساءل عما إذا كان الدين ضرورة أبدية . ويضيف « هل نتوقع أن ينجح العلم فى جعل الانسان مخلوقا خالدا ؟ لنفرض ذلك . أن كون الانسان يعيش حياة أبدية لانهاية لها فى هذا العالم ، هو فى نهاية الامر ، يشبه كونه يموت بعد أجل معين . » وهنا يذكر بأنه يمكن قياس قيمة ديانة ما بمعرفة مدى تأثيرها على موقف الفرد فى مواجهة الموت

وفى مجال الحديث عن الثقافة بمعناها العام يعتقد المؤلف بأن ثمار العلم والتقنية يجب أن توزع على جميع الناس ، كما ينبغى أن تنسى شعوب عصرنا الفكرة القائلة بأن المنتج المباشر لثمار العلم هو المالك لها وصاحب الحق فى استغلالها . وفى رأيه أن المنتج المباشر قد حصل على مساعدة المجتمع منذ دخوله للتعليم الابتدائى . لذلك ينبغى أن يكون شعار الناس لكل حسب حاجته لاحسب انتاجه . وهنا يذكرنا توينبى مرة أخرى بأن الجانب المادى فى طبيعة الانسان لاينبغى أن يكون غاية فى حدذاته وأن هدف الحياة الحقيقى روحى .

ويقدم الكاتب الشهير أفكارا واقتراحات انسانية شاملة تدل على بعد النظر وتخرج عن نطاق سياسات الاستغلال والراسمالية الضيقة فيحذر من خطر الحرب وينادى بتدمير الاسلحة الفتاكة واستعمال الاموال التى تنفق على التسلح للنهوض باقتصاد ونمو الدول الفقيرة . ويدعو الى تكوين حكومة عالمية لمنع نشوب الحروب بين الدول ولتوزيع خيرات الارض توزيعا عادلا بين الشعوب .

وفى معرض الحديث عن الانسان وحياته الاجتماعية يقول توينبى : « ان الانسان مخلوق مشاكس تتحكم فيه نوازعه . وهو يثور ضد محاولات تنظيمه وتأديبه . ولكنه لايمكن أن يعيش حياته الاجتماعية دون الخضوع لانظمة وتقاليد وقوانين معينة ، تحمى المصلحة الجماعية والفردية معا . »

ويدلل على ذلك بمثال بسيط هو الانظمة التى يخضع لها سائقو السيارات فلو ساق كل حسب هواه لاصبحت الطرق خطرا على كل فرد . اذا لابد من النظام والقانون . ومثال آخر هو تلك الجماهير التى بنت الاهرام وشيدت حضارة بابل وغير ذلك ؟ ماكان لهم أن يفعلوا ذلك لولم يخضعوا لتكييف وتنظيم سابق . ومثل ذلك حالة الجنود الذين يرسلون للحرب . ويلعب الدين والوطنية والحرية دورا كبيرا فى تكييف الناس واعدادهم نفسيا للقيام بمهمة لاتؤتى ثمارها الا فى المستقبل البعيد .

ويرى المؤلف أن الفرد أصبح اليوم يئن تحت عبء « الضخامة » من ناحية العدد والحجم ، عدد سكان الارض مثلا وضخامة الانتاج والمدن والعلوم . وقد ادت هذه الضخامة الى تنظيم الناس حول آلات مثل التلفزيون والعقل الاكترونى ثم ان الشركات التى تنتج الآلات الحديثة أصبحت ضخمة بحيث تعادل او تفوق سلطتها سلطة الحكومات وبالنتيجة تجد الحكومات نفسها مضطرة للتدخل لتحل محل الشركات

ومن جملة الانظمة الضرورية للمحافظة على الفرد والمجتمع ظاهرة العائلة . فالخروف أو الحصان سرعان ماينهض بعد ولادته ويركض وراء أمه ، بينما يحتاج الانسان الى سنوات عديدة قبل أن يصبح قادرا على القيام بحاجاته والفرق الواضح هنا هو ان الحيوان يعتمد على غريزته والانسان يعتمد على مايرثه من تربية وثقافة . وكلما تقدم المجتمع فى الحضارة تطول فترة اعداد الطفل للحياة . هذا مايقوله المؤلف بصدد الحديث عن أهمية العائلة كمؤسسة ضرورية فى بناء المجتمع

وينتقل للحديث عن تغيير دور المرأة فى المجتمع وأنه ضرورة من ضرورات التقدم العلمى والتطور الاقتصادى . والواقع أن دور المرأة يتبدل نحو الاحسن . فلو سئل التاريخ الاجاب انه صنع وكتب من طرف الرجال فى معظمه وكان العالم (ومايزال فى اغلب الدول) عالم رجال . وعاشت المرأة ومازالت تعيش مهضومة حقوقها

ومما أثر على حقوق المرأة وجعلها معزولة عن معترك الحياة فى رأى الكاتب كون الرجل اقوى بدنا من المرأة . فقد سيطر الرجل على المرأة خلال التاريخ لانه هو الذى كان يحارب لحماية القبيلة وهو الذى كان يشتغل فى الزراعة

أما اليوم ، فى العصر التقنى فقد حلت الطاقة الكهربائية محل العضلات ، واستبدلت قوة الرجل والحيوان بقوة الطبيعة ، وبذلك بدأت المرأة تتحرر من ضعفها البدنى النسبى .

البقية على صفحة 33